# الفصل الثالث

## مصر والزعامة السياسية فيما بعد عام ١٩٥٢

تمهيـــــــــد :

**المبحث الأول :**
الثوره والصفوة العسكرية : عود على بـــدء ٠

**المبحث الثـانى :**
انتكاسة الليبرالية بـــين الايديولوجية الغائبـــة وتطلعات الزعامة الـكارزمة ٠

**المبحث الثـالث :**
الزعامه المصرية الراهنة : محاولات احياء الليبرالية بـين تحـــديات الواقع وبشائر الأمل ٠

oberikandl.com

obeikandl.com

( ١ )

أشرنا فى مقدمة هذا المؤلف ، وفى الفصل الأول منه الى أن هذه الدراسة ليست محض تاريخ تقليدى للزعامة السياسية المصرية ، وليست مجرد ترديد لتراث علم الاجتماع السياسى فيما يتعلق بظـــاهرة الزعامة السياسية وما يرتبط بهـا من مظاهر وقضايا أخـــرى ، الأمر الذى جعلنا نؤثر ( المدخـــل الاختبارى ) للقضايا النظرية غير المتفق عليها من جانب الباحثين والعلمـــاء فيما يتعلق بظاهرة الزعامة السياسية ، وذلك باخضاعها للاختبار التاريخى والميدانى فى ضوء طبيعة ظاهرة الزعامة السياسية المصرية بمراحلها التاريخية المختلفـة .

والمباحث الأربع السابقة قد كشفت عن مجموعة من السمات المشـتركة للزعامات السياسية المصرية فى ذات الوقت الذى كشفت فيه عن مجموعـة من التمايزات النوعية بين زعيم وآخر . وما بين التماثل والاختلاف تظهر الهوية الخاصة للزعامة المصرية ، فى الوقت الذى يتكشف فيه مدى الاتساق بين الطرح الفكرى والتساؤلات النظرية التى أثيرت فى الفصل الأول من هذا الكتاب وبين ماهية الزعامات السياسية المصرية ؟

وتلك هى المهمة التى ينوط بها هذا المبحث الذى **يحاول أن يجيب عـن التســـاؤلات الآتيـة :**

(أ) ماهى مظـــاهر التماثل والاختلاف بين الزعامـات السياسـية المصرية ؟

(ب) هل هناك هوية خاصة من الممكن أن تتميز بها الزعامة السياسية المصرية تاريخيا ؟

(جـ) الى أى حـــد اتسقت سمات الزعامة السياسية المصرية وظروف نشأتها مع ما أثير من تساؤلات نظرية حـــول ظاهرة الزعامة السياسية وكما طرحه التراث النظرى لعلم الاجتماع السياسى فيما يتعلق بهذه الظاهرة ؟

## ( ٢ )

## ( أ ) الزعامات السياسية المصرية

## بين التماثل والتمايز

يتأكد من العرض السابق أن للزعماء السياسيين المصريين سمات خاصة قد تصل أحيانا الى مستوى الموهبة والعبقرية لعل من أبرزها القدرة على قيادة الآخرين والتأثير فيهم ، فضلا عن السيطرة واخضاع الآخرين بصورة قد تحدث بشكل ارادى أو لا ارادى • فالزعيم السياسى ـ والحال هكذا ـ كان شخصا موهوبا متميزا ذا قدرات خاصة ، وهذا ما لاحظناه منذ الزعامات المصرية الاولى التى تجلت فى رؤساء الطوائف الحرفية والمهنية ، أو فى الزعامات الدينية ( عمر مكرم ) ، أو فى النماذج الثلاثة التى أشرنا اليها ( أحمد عرابى ومصطفى كامل وسعد زغلول ) ، فقد كانت كلها زعامات يملك أصحابها مواهب خاصة •

ومن مظاهر التماثل ما كشف عنه الدور الذى لعبته الظروف الموضوعية للمجتمع المصرى ـ لا فى خلق الزعامة ـ وانما فى تجسيدها وبلورتها ، وهى الظروف التى صاغتها عوامل ثلاثة هى : الازمات الاقتصادية والاحساس بعدم العدالة والاوتوقراطية كنظام للحكم وخيرا وطأة الاحتلال الاجنبى •

فالظروف لم تخلق الزعامات بقدر ما أتاحت لها الفرصة للظهور والتألق، فظلم الاتراك العثمانيين وتعسف المماليك وأزمة الاحتلال الفرنسى ، قد ساعدت على ظهور زعامات القرنين السابع عشر والثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر • كذلك فان أوتوقراطية نظام الحكم فى عهدى اسماعيل وتوفيق ، والتمايزات الاجتماعية والطبقية قد عمل على تفجر زعامة عرابى ، كذلك فانه من المؤكد أن ظروف الاحتلال الانجليزى والنزعة الفردية فى الحكم قد عملت على تألق زعامة كل من مصطفى كامل وسعد زغلول •

ولكن من المؤكد أن الظروف وحدها لا يمكن أن تخلق الزعامات ، الا اذا توفر عنصر الموهبة والكفاءة والقدرة الخاصة ، كذلك فان الموهبة الزعامية تظل كامنة حتى تجد المناخ الملائم والظروف المناسبة التى تكشف عن هذه الزعامة وتتيح لها فرصة الظهور والتألق •

( ٣ )

وتشكل **الجماهير** ـ مع كل من الموهبة والظروف ـ عنصرا ثالثا ساعد على تألق الزعامات السياسية واستمرارها ، فلقد لعب الشعب المصرى دورا هاما فى مساندة زعاماته السياسية وتأييدها ، فكان بمثابة القوة الروحية والمعنوية التى استمد منها الزعماء العون وقت المحن والخطوب ، ولولا هذا التأييد الجماهيرى ما استمرت تلك الزعامات فى أداء مهمتها العظيمة فى قيادة الأمة وقت الشدائد والأزمات ، وهو الأمر الذى يتضح بصورة جلية فى موقف الجماهير المصرية من كل من مصطفى كامل وسعد زغلول على وجه الخصوص.

ثم كانت **كراهية السلطات الحاكمة** ـ ومعها بطبيعة الحال المحتل الاجنبى ـ لهذه الزعامات ، على اعتبار أن هذه الزعامات كانت تعد من الظواهر غير السويه Abnormal Phenomena فيما تتصور السلطات الحاكمة ، والتى ينبغى ـ كما تتصور هذه السلطات ـ محاربتها والقضاء عليها لما تحمله من دعاوى تتناقض وطبيعة البناء السياسى وهوية نظام الحكم الذى ينهض وفقا له المجتمع ، ومن ثم ظهر ( الصراع ) كأحد السمات التى ميزت علاقة السلطة الحاكمة ( والمستعمر الاجنبى ) بهذه الزعامات بداية بعمر مكرم وانتهاء بسعد زغلول .

وبكشف الانتماء الاجتماعى والطبقى للزعامات السياسية المصرية ، أن هذه الزعامات قد نشأت من خلال الطبقات الاجتماعية الدنيا أو المتوسطة سواء فى الريف ( كعرابى وسعد زغلول ) أو فى المدن ( كمصطفى كامل ) ، ويستثنى من هذا محمد فريد باعتباره ( حالة ) قد لا نجد لها نظيرا طوال تاريخ الحركة الوطنية المصرية .

وبقدر ما يكشف هذا الانتماء الطبقى عن دور متميز لكل من الطبقتين الدنيا والمتوسط فى ريف مصر وحضرها فى قيادة الحركة الوطنية ، بقدر ما يكشف أيضا عن أن الموهبة ليست حكرا على الطبقات العليا فى المجتمع . ولكن من المؤكد أن هذا لايعنى أن الطبقة العليا فى المجتمع (بالمفهوم الاقتصادى) لم يكن لها دور ، بل ان حقائق تاريخ المجتمع المصرى ، تؤكد أن هذه الطبقة قد حاولت ـ قدر ظروفها ـ أن تكون لها بعض اللمسات فى تحريك القضية الاساسية وهى الاستقلال ، ويظهر هذا من خلال نشأة حزب الأمة الذى جمع علية القوم فى الثقافة والثراء المادى ، رغم بعض الملاحظات التى يمكن أن

يبديها البعض فيما يتعلق بأسلوب حزب الأمة فى الجهاد ٠

كذلك لا ينبغى أن نتناسى أن البداية الأولى لنشأة حزب أحمد عرابى ( الحـــزب الوطنى أو جماعة حـــلوان ) قد جمعت عددا كبيرا من الاعيـــان والباشاوات ونفراً غير قليل من علية القوم ، فضلا عن بعض أفراد الصـفوة المثقفة والعسكرية فى المجتمع ، وان انسحب الكثير من أعضاء هذا الحزب عندما بدى لهم أن انتماءهم له وخطة عرابى الثورية الطموحة قد تعرض مصالحهم ـ فضلا عن أوضاعهم الاجتماعية ـ للخطـــر ، أو على أقل تقـدير تتعرض للاهتزاز ، وهو ما يقلل كثيرا من هيبتهم الاجتماعية وأوضاعهم الطبقية ٠

وقد يكون من التزيد أن نؤكد أن من بين مظاهر التماثل بين الزعامات السياسية المصرية هو ( حب مصر ) ووعيهم الناضج ( بصورة نسبية ) بأزمة المجتمع المصرى وبأهمية دورهم الزعامى فى الخلاص من هذه الازمة ، وباهمية دور الجماهير فى تدعيم زعاماتهم وبالتالى تماثلت نظرة الزعماء السياسيين المصريين للجماهير والشعب ، حيث غلب عليها ـ أى على هذه النظرة ـ الاحترام والاجلال والاحساس بأن الشعب ( قوة ) لها دور فى مسيرة الحركة الوطنيـــة المصرية ٠

( ٤ )

وتتحدد مصادر الاختلافات أو التمايزات بين الزعامات السياسـية المصرية من خلال محاور خمسة ، أولها مصدر النشأة الصفوية ، فقـد يكون من المتفق عليه أن الزعامات السياسية المصرية السابقة تشكل صفوة مـن صفوات المجتمع ، ولكن من المؤكد ـ وفقا للتحليل التاريخى ـ أن طبيعة هذه الصفوة قد اختلفت من زعيم الى آخر ، ففى الوقت الذى كان فيه عمر مكرم أحد الصفوات الدينية المستنيرة ، مثل أحمد عرابى الصفوة العسكرية ذات الأصول القروية والحس الوطنى المستنير ، بينما كان مصطفى كامل نموذجا للصفوة المثقفة الواعدة ، فى حين عبر سعد زغلول عن نموذج آخر للصـــفوة السياســـية التى جمعت بين التفكير أو الثقافة الدينيـــة المستنيرة والرؤية العلمانية الواعية ٠

ثم يأتى المحور الثانى وهو المتعلق بدرجة الوعى أو النضج السياسى ، فمن المؤكد أن عمر مكرم كان على درجة عالية ـ فى ضوء ظروف عصره ـ من

الوعى السياسى والفكر الناضج المستنير وهو ما كشفت عنه مواقفه ازاء صلف المماليك والفرنسيين ومن بعدهم محمد على • أما أحمد عرابى فكان أميل الى الحماس الثورى والاندفاع الوطنى برؤيته كفلاح مصرى ، وهو ما قد يشكك البعض فى قدر وعيه السياسى وبعد نظره فى قيادته للحركة الوطنية •

وقد لا يختلف أحد على أن مصطفى كامل كان يتمتع بدرجة عالية من الوعى السياسى رغم بعض هناته المتعلقة بدعوته الى الخلافة الاسلامية تحت راية الدولة العثمانية وثقته فى فرنسا ، الا أنه بالمقارنة بسابقه كان بعيد النظر ، ذا حس سياسى متميز ، ولعل هذا يرجع ـ الى جانب موهبته الخاصة ـ الى نوعية تعليمه وطبيعة ثقافته القانونية وتأثره بالثقافة الاوربية الفرنسية على وجه الخصوص ، فضلا عن تمثله الناضج لتاريخ المجتمع المصرى •

أما سعد زغلول ـ ذلك الشيخ المخضرم ـ فكان نضجه السياسى أمرا غير مشكوك فيه على الاطلاق نظرا لخبرته الطويلة منذ أن كان قاضيا ووزيرا ووكيلا منتخبا للجمعية التشريعية ، ثم تأثره بالسيد جمال الدين الافغانى وتلمذته على يد الشيخ محمد عبده وتعليمه الازهرى وثقافته القانونية واختلاطه بسادة عصره وفهمه لألاعيب القصر والمستعمر الانجليزى • فكل هذا ـ لاشك ـ أنه قد لعب دورا فى صياغة شخصيته الزعامية وأضاف اليها أبعادا وصلت بها الى درجة من الوعى والنضج الذى تكشفت آثاره فى قيادته للأمة فى حركتها الوطنية ، وفى كفاحها ضد القصر والمستعمر الانجليزى •

أما المحور الثالث من محاور الاختلاف فينهض فى الواقع على تعريفنا لمفهوم الزعامة السياسية وعلى مقومات هذا المفهوم والذى أشرنا فيه الى أن الزعامة السياسية لا ينبغى أن نطلق عليها زعامة بصورتها المتكاملة ما دامت لا تعمل من خلال رؤية أو ايديولوجية خاصة أو على الأقل من خلال مجموعة من الأفكار ، والا تعتبر الزعامة ـ حينئذ ـ صورة من صور الحماس الثورى أو التهييج السياسى أو الاثارة السياسية •

واذا ما طبقنا هذا التصور على زعامات مصر أثناء الحملة الفرنسية ، وما قبلها وما بعدها ، فقد يخرج عمر مكرم والشرقاوى والشيخ والسادات وغيرهم من دائرة الزعامة السياسية ،وفى هذا ظلم لأننا ينبغى أيضا أن نضع

فى اعتبارنا الظروف الثقافية والاجتماعية والسياسية للمجتمع آنذاك ،كما أنه لا ينبغى أيضا أن نتعامل مع تلك الزعامات بمنهج عصرنا وبما يطرحه الفكر السياسى الحديث ، وبما يفرزه الطرح النظرى لعلم الاجتماع السياسى ٠

أما العرابيون فبرغم تميز الكثير منهم ثقافيـــا وتعليميا كالبارودى والنديم ومحمد عبده ٠٠٠ الخ ، وهو ما يجعلنا نؤكد أنهـم كانوا أصحاب فكر ، الا أننا بالنسبة لأحمد عرابى ذاته كنتيجة لظروفه الثقافية والتعليمية يشق علينا أن نعثر له عن فكر متكامل ، وان كانت له مجموعة أفكار لم تصل به الى مستوى أصحاب النظريات أو الايديولوجيات المتكاملة ٠

ويتميز مصطفى كامل ـ على حداثة سنه ـ وكنتيجة لثقافته الغربية ( الفرنسية ) المتـــآلفة مع تربيته الدينية وتمثله الجيـــد لوقائع التاريخ السياسى للمجتمع المصرى ، انه كان صاحب رؤية فكرية وهو ما ظهر بصورة واضحة فى مجموعة مقالاته وكتبه ومؤلفاته ككتاب المسالة الشرقية وكتـاب الشمس المشرقة ، وان اختلف البعض معه فى تفاصيل فكره ورؤاه المختلفة ٠

أما سعد زغلول ، فهو حقيقة لم يكن مفكرا سياسيا أو صاحب نظرية محـــددة الملامح ، الا أنه كان يملك طاقما من الرؤى والتصورات خاصـــة بالسياسة والحكم ، كما أنه كان لديه أيضا حس متميز فى تحليل الاوضـــاع الاجتماعية والطبقية وهو ما كشفت عنه مذكراته التى اشرنا الى بعض منها والحقيقة أن هذه الرؤى والتصورات الخاصة بسعد لم تكن الا نتيجة كثقافته المتنوعة العريضة ، وخبراته السياسية الواسـعة ، وفهمه الواعى لطبيعـة المجتمع المصرى ٠

( ٥ )

واذا ما انتقلنا الى المحور الرابع وهو الخاص بعملية الحديث السياسى ، على اعتبار أن التحديث ظاهرة حتمية ومتوقعة ، أو ينبغى أن تكون حتميـة ومتوقعة كانعكاس لقيادة هذه الزعامات للأمة ومناهضتها لأساليب الحكم الاوتوقراطى وتعنت الحكام وظلمهم ، فالتحديث السياسى هنا هو تغيير نمط الحكم من صيغته الأوتوقراطية الى الصيغة الديمقراطية ٠ فنلاحظ أن أول مظهر من مظاهر التحديث السياسى فى مصر الحديثة قد حدث بعد تلك الوقفة الشجاعة التى وقفها عمر مكرم ومن ورائه الشعب المصرى حينما عزلوا الوالى

التركى ، واختاروا محمد على واليا على مصر ( بشروطهم ) على نحو ما خاطبوه وهو ما جعل أحد المؤرخين الاجانب يذهب الى ما معنـــاه أنها أول سابقة فى الشرق كله أن يعين الشعب واليه وبشروطه ( أى بشروط هذا الشعب ) ٠

ولا شك أن هذا الاختيار يعد أحد مظاهر الديمقراطية التى لم يألفهـا الشعب المصرى ويعد فى الآن نفسه مظهرا من مظاهر التحديث السياسى اذا ما وضعنا فى الاعتبار الطريقة التى كانت متبعة عند تعيين الوالى التركى ، والظروف السياسية للمجتمع المصرى فى أواخر القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر ٠

أما أحمـد عرابى فلا شك أن مواقفه الثورية قد أحدثت عددا من التغيرات السياسية لعل من أبرزها عزل عثمان رفقى وتشكيل وزارة وطنية جـــديدة ووضع مشروع لدستور مصرى ، وهى كلها مظاهر للتحديث السياسى وذلك اذا وضعنا فى الاعتبـار ظروف الحكم المطلق التى سـادت المجتمع المصرى آنـذاك ٠

أما القدر فلم يمهل الزعيم مصطفى كامل لكى يحقق آماله وآمال أمته ، فلم تحدث ـ فى حياته ـ مظاهر تذكر للتحديث السياسى ، الا اذا اعتبرنا تأسيس الحزب الوطنى كان أحد مظاهر هذا التحديث رغم أن لطفى السـيد ورفاقه قد سبقوه فى تأسيس حزب الأمـــة ، كذلك الشيخ على يوسـف فى تأسيسه لحزب الاصلاح على المبادىء الدستورية ، وهو الأمر الذى يجعلنـا نؤكد أن عدم حدوث مظاهر جادة للتحديث السياسى فى أيام مصطفى كامل تجعل من مقولة التحديث أحد محاور الاختلاف بين الزعماء رغم اتفاق زعامات ما قبل مصطفى كامل وما بعده ( سعد زغلول ) فى هذا المحور ، حيث خبـر المجتمع المصرى مظاهر عديدة من التحديث السياسى كانعكاس لقيادة هـــذه الزعامات للحركة الوطنية ٠

ويشكل دستور عـــام ١٩٢٣ وانتخابات عام ١٩٢٤ ، وتشكيل أول وزارة شعبية وأول برلمان منتخب وأفول نجم الحكم المطلق مظاهر جـادة للتحديث السياسى ، وهى العملية التى ترتبت على احداث ثورة عام ١٩١٩ وزعامة سعـد زغـلول لهـا ٠

( ٦ )

ويجيء المحور الخامس والأخير للكشف عن التمايزات القائمة بين الزعامات السياسية المصرية مشيرا الى الاهداف السلطوية لهذه الزعامات من حيث ميلها الى الحكم وشغفها بتملك السلطة الرسمية من خلال زعامتها ٠

واذا كنا في تحديدنا لمفهوم الزعامة أشرنا الى أنها ـ أى الزعامة ـ هى سلطة خارج السلطة الشرعية بل تفوقها ، ولا ينبغى أن تكون السلطة أو الحكم أحد أهدافها وهو ما وجدنا نموذجا له لدى عمر مكرم الذى لم يفكر على الاطلاق فى أن يكون له دور سلطوى فى حكم البلاد ، وكذلك مصطفى كامل الذى لم ترد أحلام السلطة أبدا على خاطره ٠

أما أحمد عرابى ، فلقد تولى ( نظارة ) الحربية فى وزارة البارودى وسعد زغلول الذى تولى رئاسة أول وزارة شعبية تشكلت وفقا للانتخابات التى أجريت فى أثر اصدار دستور عام ١٩٢٣ ، ومهما قيل فى أسباب تولى عرابى أو سعد لهذه المناصب الرسمية فما كان ينبغى ـ وهما الزعيمان الوطنيان ـ أن يتركا الساحة السياسية الجماهيرية ويسعيان وراء مناصب رسمية وهما يملكان من القوة والسلطة ما يفوق أى سلطة شرعية أو منصب رسمى ، فما كان الزعماء أبدا ذوى مناصب رسمية ولا ينبغى أن يكونوا كذلك ٠

## (ب) الزعامات السياسية المصرية والتراث النظرى لعلم الاجتماع السياسى

( ٧ )

من محاولتنا الرامية الى اخضاع مجموعة التساؤلات التى استقيناها من التراث النظرى الخاص بظاهرة الزعامة السياسية فى علم الاجتماع السياسى وما ارتبط بها من قضايا وظواهر أخرى ، للاختبار التاريخى والميدانى أشرنا اليهما فى الفصل الأول من هذا الكتاب ، تتضح لنا **مجموعة الحقائق الآتية :**

**أولا :** ان الزعامات السياسية المصرية التى اخضعناها للبحث والدراسة كانت تمثل قوة **Power** فى المجتمع ولكنها لم تكن على الاطلاق قوة اقتصادية ، ولم تكن قوة سلطوية رسمية ، بل كانت أقرب الى القوة المعنوية المتعلقة بسمات خاصة للزعماء وقدرات وكفاءات ومواهب تتسم بالندرة والعبقرية ٠

**ثانيا :** مالت غالبية الزعامات السياسية المصرية التى اشرنا اليها اذا ما حددناها على متصل الكارزمية ـ الشرعية Charisma-Legitimacy Continuum الى الناحية الكارزمية الالهامية التى تستمد مقوماتها من السمات الخاصة التى تميز الزعيم أو القائد وهو ما يؤكد النتيجة التى أشرنا اليها فى « أولا » ٠

**ثالثا :** لعبت الظروف الموضوعية للمجتمع المصرى ـ لا سيما ظروف الحكم الاوتوقراطى ، الحكم العسكرى الاجنبى ـ دوراً متميزاً فى بلورة الزعامات السياسية المصرية ، وهو ما يتناقض مع ما ذهب اليه هيرمنز **Hermens** من أن ظروف المجتمع الديمقراطى هى التى تعمل على خلق الزعامات السياسية وما يؤكد فى نفس الوقت ما ذهب اليه السير رايت ميلز **Mills** من أن فهم الصفوات والزعامات ينبغى أن يكون فى ضوء الظروف الموضوعية للمجتمع والسياق الاجتماعى Social Context وذلك فى معرض مناقشته لمفهوم صفوه القوه The Power Elite .

**رابعا :** يؤكد العرض السابق أن الزعامات السياسية المصرية هى التى خلقت الثورات وليس العكس ، مع الاعتراف بأن الثورات المصرية قد بلورة هذه الزعامات وجسدتها ولكنها لم تخلقها ، وفى هذا نتفق مع هيرمنز **Hermens** من أن نجاح الثورات يستوجب وجود زعامات سياسية تقودها وتوجهها وتحدد مسيرتها ٠

**خامسا :** أكد العرض السابق أن الزعامات السياسية المصرية لم تكن فى الواقع الا صفوة **Elites** متميزة فى المجتمع ، وان تعددت مصادر هذه الصفوات ما بين مصدر دينى وآخر عسكرى وثالث سياسى ورابع ذى ماهية ثقافية متميزة ، وهو ما يؤكد ما ذهب اليه التراث النظرى للزعامة السياسية فى تأكيده على الصفوات باعتبارها مصدرا هاما لتفريخ الزعامات ٠ مع ملاحظة أن الزعامات السياسية المصرية قد تجاوزت الحدود الضيقة لصفوتها حيث التفاعل الدينامى مع الجماهير ٠

**سادسا :** كشف العرض السابق عن اختلافات بينه بين المؤرخين المصريين فى تقويمهم للزعامات السياسية المصرية وهى اختلافات تكشف عن

تناقضات ايديولوجية وسياسية Ideological and Political Contradictions بين المؤرخين المصريين وهو ما يؤكد تأثير الايديولوجيا على الطـــرح الفكرى الذى تفـــرزه علوم المجتمع والمتخصصون فى علوم الانسان والمجتمع ومنهم المؤرخون ، وهو ما يثير عـــددا من التساؤلات حول مدى توفر الموضوعيـــة Objectivity فى تقويمات المؤرخين ودور الايديولوجيا كأحد عوائق تحقيق الموضوعية فى علم الاجتماع وغيره من علوم المجتمع ٠

obeikandl.com

# المبحث الخامس

## الزعامات السياسية المصرية

## مظاهر التماثل ومؤشرات التميز

obeikandl.com

obeikandl.com

# تمهيـــــد

هذا الفصل لا يعنى بمجرد التأريخ للمجتمع المصرى لحقبة ما بعـــد الخمسينات ولا يعـد محض رصـد لوقائع يوليو ١٩٥٢ وأحداثها وما ترتب عليها من تغيرات أصابت البناءين الاجتماعى والسياسى للمجتمع المصرى ، فما كتب عن ثـــورة يوليو من الكتب والمؤلفات والمقالات والدراسات سواء العربية أو الأجنبية من الكثرة والوفرة بحيث لا نعتقد اننا اذا ما حاولنـــا التاريخ أو الرصد لهـــذه الحقبة أننا سنأتى بجديد ، بل سنكون مجـــرد محاكين لهذا التراث مرددين له ، رغم ايماننا بأن القصة الحقيقية لثـــورة يوليو ١٩٥٢ لم تكتب بعد ، لاسيما وأن هناك من الوثائق والخبايا والوقائع مالم يفصح عنـــه بعـــد ٠

بيـد أن هذا الفصل عرض تحليلى لظاهرة الزعامة السياسية كمـــا تبدت فى فترة ما بعد عام ١٩٥٢ **وذلك فى ضوء :**

١ ـ مجموعة التساؤلات التى أثيرت فى الفصل الأول من هذا المؤلف وهى الخاصة ببعض القضايا المرتبطة بظاهـــرة الزعامة السياسية كظاهرة الصنوة والسلطة والقوة والثورة والايديولوجيا والتحديث السياسى ٠

٢ ـ علاقة طبيعة الزعامات السياسية لفترة ما بعـــد الخمسينات **بـــكل من :**

(أ) الانتماء الطبقى والفكرى لزعامات هذه الفترة ٠

(ب) موقف الشعب المصرى من زعامة هذه الحقبة ودور الوعى السياسى المصرى فى خلق هذه الزعامة ٠

(ج) دور التأثير الكازرمى لعبد الناصر فى استمرار زعامة الخمسينات والستينات ٠

(د) صيغة الحكم وطبيعة النظـام السياسى لحقبتى الخمسينـات والستينات ٠

٣ ـ ما أفرزته التجربة الناصرية من مظاهر التحديث السياسى ٠

٤ ـ طبيعة النموذج الناصرى فى علاقته بطبيعة النماذج الزعامية لدول العالم الثالث ٠

٥ ـ زعامة السبعينات ومحاولاتها لاحياء الليبرالية واجراء بعض مظاهر التحديث السياسى ٠

ورغم حساسية قضية الزعامة السياسية فى مصر فيما بعد الخمسينات، الا أن الطرح الموضوعى لها والمعالجة العلمية لأبعادها وما يتاح حاليا من حرية نسبية فى تناول مثل هذه الظواهر قد يقلل كثيرا من درجة الحساسية هذه٠

ولكننا لا ندعى ـ فى طرح مثل هذا الموضوع ـ وصولنا الى درجة عالية من الموضوعية ، فما وجد بعد هذا الباحث الموضوعى المطلق ، لاسيما وأن معالجة الظواهر الاجتماعية والسياسية من العسير تناولها بمنأى عن الأبعاد الذاتية للباحث ، ولكننا حاولنا بقدر الامكان أن تكون متغيرات الواقع الاجتماعى والسياسى هى دليلنا فى الكشف عن ماهية الزعامة السياسية فى مصر فيما بعد الخمسينات وهى محكات موضوعية واقعية أفرزتها طبيعة النمط الزعامى السائد فى تلك الحقبة ، رغم تأكيدنا على أن محاولات تحليل هذه المتغيرات وتفسيرها قد تختلف من باحث الى آخر ، باختلاف المنطلقات الفكرية والايديولوجية للمحللين ومحاولى التفسير ٠

# المبحث الأول

## الثـــورة والصـــفوة العســـكرية

## عـــود على بـــدء

obeikandl.com

obeikandl.com

( ١ )

اذا كان أحمد عرابى قد قدم نموذجا للزعامة السياسية المصرية المنبثقة عن الصفوة العسكرية Military Elite المصرية بكل محاسنها ومثالبها ، فانه من المؤكد أيضا أن جمال عبد الناصر قد استطاع أن يكشف عن نموذج آخر لزعامات الصفوة العسكرية الوطنية التى جمعت بين كراهيتها للسلطة الحاكمة والمستعمر الاجنبى ومحاولتها ايجاد طريق ( للخلاص ) من أزمات المجتمع المصرى سواء فى صورتها السياسية أو فى أبعادها الاجتماعية والاقتصادية المختلفة(١) ٠

والصفوة العسكرية التى يمثلها عبد الناصر ، صفوة ، تفاعلت مجموعة من العوامل فى صياغة ماهيتها وتحديد معالمها ، ويبرز على قمة هذه العوامل الوعى بأزمة المجتمع المصرى الذى تجسدت أولا فى الاحتلال الانجليزى وثانيا فى فساد القصر وعجز مجموعة الوزارات التى توالت على حكم مصر ، سواء الوزارات الوفدية أو غيرها من الوزارات المؤتلفة أو المستقلة ، عن ايجاد صيغة ملائمة لخلاص المجتمع المصرى من براثن الاستعمار ، وحل القضية الوطنية فضلا عن الفشل المستمر الذى أصاب الوزارات المصرية فى أن يكون لها كيان مستقل بعيدا عن ممارسات القهر السياسى والسلطوى الذى كان يمارسه القصر وتعسفه فى استخدام حقه الدستورى فى اقالة البرلمان والوزارة، الى جانب المواقف الانتكاسية التى أصابت الليبرالية السياسية المصرية ، والمظاهر المتعددة للصراع الحزبى الى الدرجة التى وصلت الى قمة التكالب المسعف على السلطة والحكم(٢) ٠

---

(١) انظر قصة تكوين خلايا الضباط الاحرار فى : جورج فوشيه ، جمال عبد الناصر فى طريق الثورة ، تعريب نجده هاجر وسعيد الغز ، منشورات المكتب التجارى ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٩٦٠ ، ص ١٦٩ وما بعدها ٠

(٢) انظر تفصيلا لذلك فى : طارق البشرى ، الخريطة السياسية والاجتماعية لثورة ٢٣ يوليو ، الطليعة ، العدد (٧) ، يوليو ١٩٦٥ ، ص ص ٨ ـ ٣١ ٠

ولاشك أن الانتماء الطبقى والاجتماعى الذى جمع الصفوة العسكرية التى كان ينتمى اليها عبد الناصر ورفاقه من الضباط الأحرار ، كان من بين عوامل التقارب بين أعضاء هذه الصفوة ، فغالبية هذه الصفوة ممن ينتمون الى الطبقات الدنيا الكادحة أو الطبقات المتوسطة الواعدة سواء فى الريف أو فى الحضر ، وهو ما ولد الوعى والاحساس بحقيقة ( القضية الاجتماعية ) وبطبيعة التمايزات الاجتماعية والطبقية ، فضلا عن الادراك الواعى لطبيعة الاستغلال الاجتماعي وصوره أو مظاهره المتعـددة ٠

( ٢ )

ولعل هذا التمثل الجيد والواعى لظروف المجتمع المصرى وتاريخه من قبل بعض أعضاء الصفوة العسكرية الوطنية ، قد تفاعل مع الحماس الوطنى الأمر الذى ( ولد ) احساسا بضرورة أن تكون هناك طريقة للخلاص ، فـكان تنظيم الضباط الأحرار ، وكانت النية الصادقة فى حتمية احداث تغيير جذرى يحدد معالم طريق مستقبل المجتمع المصرى ، سياسيا واجتماعيا ٠

ولكن رغم هذا الاختلاف الثقافى ، أو على الأقل الاختلاف فى مصـــادر ثقافة هذه الصفوة العسكرية(١) الا أنهم اتفقوا على طريقة الخلاص وهى الثورة ، ويؤكد ذلك جمال عبد الناصر فى خطاب أرسله الى صديقه حسن

---

= وانظر كذلك فى قصة الثورة ووقائع ما قبل الثورة : أنور السادات ، البحث عن الذات ( قصة حياتى ) ، المكتب المصرى الحديث ، القاهرة ١٩٧٨ ، ص ص ٨٣ ـ ١٠٧ ٠

وايضا : جاك دومال ومارى لوروا ، جمـــال عبد الناصر من حصـــار الفالوجه حتى الاستقالة المستحيلة ، ترجمة ريمون نشاطى ، دار الآداب ، بيروت ١٩٦٨ ٠

(١) لا اقصد بهذا المستوى التعليمى ، حيث انهم تماثلوا فى هذا المستوى ، ولكنهم اختلفوا نوعا ما فى طبيعة المصادر التى استقوا منها ثقافتهم ، حيث تباينوا بين متاثر بالافكار اليسارية وآخر بالافكار اليمينية وثالث بالرؤية الاسلامية ٠٠٠ الخ ٠ ويؤكد كل من فوشـيه وبيتر مانسفيلد Mans Field ان جمال عبد الناصر قد قرأ الكثير عن مفكرى القرن التاسع عشر وزعمائه ومن جاءوا بعدهم فقرأ عن روسو وفولتير وديكنز وحياة يوليوس قيصر والكسندر ونابليون وغاندى ، فضلا عن قراءاته المتنوعة عن بعض أعلام الفكر المصرى وبعض الزعمـــاء المصريين الذين لعبوا دورا فى تاريخ الحركة الوطنية فقرأ عن مصطفى كامل ومحمد عبده ٠٠٠ الخ ٠ ويذهب بيتر مانسفيلد الى ان عبد الناصر قد تاثر أول الأمر بالوفد ثم تحـول عنه الى حزب مصر الفتاة ولكنه شعر ـ حسبما يشير مانسفيلد ـ ان أحمد حسين ليس بالزعيم الذى تحتاجه مصر ٠
Mansfield, Peter, Nasser's Egypt, Penguin Books, Middle Sex, 1969, P. 31.

النشار فى عام ١٩٣٥ حيث يتساءل فيه : أين الكرامة ٠٠ ؟ أين الوطنية٠٠؟ أين نشاط الشباب ٠٠ ؟ من الذين يستطيع ايقاظ المصريين هؤلاء المخلوقات البائســـــة ؟(١) ٠

ولنا أن نستشف من تـــلك التساؤلات التى أثارها عبد الناصر مدى الاحساس بأزمة المجتمع المصرى ، وبحتمية الخلاص من هذه الأزمة ، ومدى الحماس الذى كان يمثله عبد الناصر الشاب ٠ ولكن هل يكفى الحماس والنية الصادقة والوعى بأزمة المجتمع لخلق الشخصية الزعامية وقيادة أمة ؟ وهل تكفى السمات الكازرمية التى كان يتمتع بها عبد الناصر من قوة الشخصية والقدرة على التأثير فى الآخرين لخلق الزعامة السياسية الحقيقية ؟ ٠

والواقع أن عبد الناصر كان يعكس بجلاء الكازرمية الزعامات الصفوة العسكرية ، وهى زعامات تعتمد على مواهب أو قدرات خاصة فى تزعم الصفوة أولا ثم محاولة تزعم الأمة ثانيا من خلال التأثير الكارزمى الذى يمارسه هذا الزعيم ــ ان صح أنه زعيم ــ على الشعب ٠

فالصفوة العسكرية عادة ، جماعة متميزة ، على قدر مناسب من الوعى والادراك لمشكلات المجتمع العسكرى ، ثم انها على قـــدر من الحس الوطنى العام بمشكلات المجتمع ككل ، فهى صفوة يغلب عليها الحماس والوطنية ، وهو الأمر الذى تبدى فى أحداث يوليو عام ١٩٥٢ والتى يعتبرها رايموند بيكر Barker ثورة من أعلى Revolution from above عند تصنيفه لثورة يوليو فى دراسته عن ثـــورة مصر تحت حكم ناصر والسادات(٢) ذلك على اعتبار ــ كما يذهب بيكر ــ أن من قام بها لم يتعد مجموعة الضباط الأحرار كممثلين للصفوة العسكرية الواعية ، وهى ــ أى الثورة ــ على حسب ما يرى بيكر ــ لم تكن ثورة من أسفل نظرا لغياب القاعدة الشعبية عن الاسهام فيها فى أول الأمر ٠

---

(١) Ibid, P. 35.

(٢) Baker, Raymond, William, Egypt's Uncertain Revolution Under Nasser and Sadat, Harvard Univ. Press, 1978.

ولقد اعتمدنا على العرض الذى قدمه للكتاب وحيد عبد المجيد ، مجلة السياسة الدولية، العدد (٦٠) ، أبريل ١٩٨٠ ، ص ص ٢١١ ــ ٢١٤ ٠

( ٣ )

فالحـــركة الناصرية فى يوليو ١٩٥٢ ، وهى حركة الصفوة العسكرية المستنيرة ، قد انطلقت من الحماس الوطنى المفرط والاحساس بأزمة المجتمع المصرى اعتمادا على السمات الكارزمية لقائد الحركة ، ومن الملاحظ عادة أن غالبية الثورات أو الحركات التى تنطلق أساسا من خلال الصفوة العسكرية ـ والتى أسماها باكر الثورة من أعلى ـ تعتمد فى المحل الأول لنجاح هـــذه الحركة على السيطرة على الاوضاع العسكرية والقوى المشكلة للجيش وعلى السمات التى يتحلى بها الزعيم • وقـــد يقال على نحو ما يـذهب ارفينج هورويتز Irving Horowitz ان بعض المجتمعات المتخلفة وذات المشكلات السياسية والاقتصادية والتى تسودها الأميـــة لا تحتاج الى الزعامات أو القيادات العقلانية أو الرشيدة Rationalistic Leaderships قدر احتياجهـا الى القيادة أو الزعامة الكارزمية Charismatic ، لا سيما بالنسبة لمشكلات التنمية ـ أن تضع الحلول الجاهزة والسريعة للاسراع بحـــل مثل هـــذه المشـــكلات(١) •

ورغم تحفظنا على اشارة هورويتز هذه فانه من المؤكد أن عبد الناصر كان يمثل ـ من خـــلال حركته ـ نموذجا للقائد الكارزمى العسكرى ، الذى استطاع بمهارة ـ ومن خلال التفاعل الايجابى من رفاقه ـ أن يقدم نموذجا للثورة العسكرية البيضاء • ولكن من المؤكد أن هـذا النقاء الثورى قد شابه كثير من الظلال التى باعدت بينـه وبين صفته غير الدموية •

ولكن هل يمكن أن تعتبر ظروف المجتمع المصرى ونسبة الأمية والأزمات السياسية والاقتصادية مـــبررا لظهور الزعامة الناصريـــة الكارزمية التى انطلقت من خلال الصفوة العسكرية ؟ وهل مجتمع يماثل تلك الظروف التى مرت بمجتمعنا المصرى لا تجدى معه الا مثل هذه النوعية من القيادات على نحو ما يرى هورويتز Horowitz والذى ينفى فى الآن نفسه امكانية نجاح الزعامة الرشيدة أو العقلانية فى بعض المجتمعـات الافريقيـة ومنهـــا مصر بطبيعة الحـال ؟ •

---

(١) Horowithz, Irving, Louis, Three Worlds of Development. The Theory and Practice of International Stratification, Oxford, New York, 1966, P. 241.

وقد يكون بالفعل أن طبيعة المجتمع المتخلف Underdeveloped Society هى التى تعطى للقيادة الكارزمية فرصة الظهور والتألق بمعنى أن هـــذه الزعامات لا يمكن أن تتخلق فى ظل مجتمعات حققت أشواطا كبيرة من الرقى والتقـدم ، لذلك فانه من المـــؤكد أن انخفاض المستوى الاجتماعى والثقافى وانخفاض مستوى الوعى السياسى Political Consiousness لدى المجتمعات المتخلفة يتيح لتلك الزعامات السياسية الكارزمية التألق والظهور ، فضـلا عن الاستمرار فترة طويلة من الزمن ٠

ولكن رغم ذلك فاننا قد لا نوافق هورويتز Horowitz فيما أكد عليه من أن المجتمعات المتخلفة لا تصلح معها الا القيادات أو الزعامات الكارزمية ، نظرا لأن مثل هذه المجتمعات ـ فيما نتصور ـ أشـــد ما تكون احتياجا الى زعامات ناضجة وواعية تجمع بين العلم والخبرة والحس السياسى الرشيد أكثر من احتياجها الى زعامة تعتمد فقط على مواهبها الكارزمية ، الأمر الذى قد يزيد هذه المجتمعات تخلفا على تخلفها ٠

( ٤ )

ويمكننا القول أن الزعامات الكارزمية ينبغى أن تكون زعامات قصيرة الأمد ، بمعنى أن يكون لها دور موقوت ، لا سيما بالنسبة للبدايات الأولى للثورة أو الحركة ، ثم عليها بعد ذلك أن تسلم الأمر كله للزعامات العقلانية الرشيدة التى تجمع بـــين النضج أو الخبرة السياسية والابعـــاد الفـكر والايديولوجية ٠ ولا شك أن الزعامات الرشيدة تعد ـ فى يقينى ـ من بـــين ( ضمانات ) احراز التقدم وتجاوز عثرات الطـــريق ، وهى المقومات التى تفتقدها كثيرا الزعامات الكارزمية ٠

فالزعامة الناصريه اذن ـ ومن خلال حركتها الثورية الفوقية ـ قـد استطاعت أن تتخلق ليس فقط بفضل الظروف الموضوعية لتخلف الانســان المصرى ، ولكن أيضا بسبب حالة السأم السياسى الذى أصاب هذا الانسان، ومفقدانه الثقة فى الساسة القدامى نظـرا لعجزهم عن حل القضية الوطنية ، ومن ثم كان تصور هـذا الانسان المصرى أو فى الزعامة الناصرية العسكرية ( الخلاص ) من أزمة هذا المجتمع ، وأنه ـ ورفاقه ـ قادرون على انجاز مالم

ينجزه الآخرون ، ولعل هذا يكشف لنا عن علة هذا التأييد الشعبى والجماهيرى للحركة و للقائمين بها منذ اللحظة الأولى ٠

فلا شك اذن أن السياق الاجتماعى والسياسى للمجتمع المصرى ، يستطيع أن يقدم لنا تفسيرا مقبولا لتألق هذه الصفوة العسكرية وظهور عبد الناصر بكارزميته كأحد الابطال الذين يمكن يتحقق على أيديهم الخلاص ، أو هكذا كان يتصور أقل الناس تفاؤلا ٠

والبطل ، والبطولة كأحد رموز القوة عادة ما تستهوى الشعوب ذات المستويات الثقافية والتعليمية المتواضعة حتى ولو حمل هؤلاء الابطال من الأوهام والمنى أضعاف ما يحملونه من الحقائق أو المقومات الموضوعية ، ومن ثم كان هذا التقدير الجماهيرى للظاهرة الناصرية ، وهو تقدير يغلب عليه الحماس العاطفى والتأييد الانفعالى الوجدانى ٠

( ٥ )

لذلك فان ما أشار اليه بوتومور Bottmore ثم محمد على محمد فى تعيينه لماهية الصفوة العسكرية(١) وما أكد عليه السير رايت ميلز Mills من ضرورة فهم ظاهرة الصفوة فى ضوء الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمجتمع أو من خلال طبيعة السياق الاجتماعى والسياسى وما يتميز به البناء الاجتماعى من ماهية خاصة(٢) يمكن ان يفسر لنا أسباب تخلق الزعامة الناصرية فى تلك الحقبة من تاريخ المجتمع المصرى ٠

فمن المؤكد اذن أن الزعامة الناصرية كانت قوة Power لم تستمد مقوماتها من وضعية اقتصادية معينة ـ نظرا لطبيعة الانتماء الطبقى لعبد الناصر ورفاقه ـ ولم تكن هذه القوة ذات أبعاد فكرية أو ثقافية بعينها، بل لم يكن المصدر الوحيد لهذه القوة الا المصدر العسكرى ، وهى سمة اشترك فيها عبد الناصر مع أحمد عرابى ، بل نستطيع أن نؤكد أن المصدر العسكرى لقوة زعامات العالم الثالث يكاد أن يكون سمة مشتركة تجمع بينهم ٠

---

(١) انظر : محمد على محمد ، دراسات فى علم الاجتماع السياسى ، ص ص ٣٦٠ ـ ٣٦٧ ٠

(٢) Mills, Wright, The Power Elite, P. 296.

ولثورات الصفوات العسكرية(١) ملامحها ومقوماتها ، فهى فضلا عن كونها ثورات من أعلى على نحو ما يذهب كل من بيكر Baker وهورويتز، الا أنها تفتقد التوجيه الفكرى أو العقائدى ، وهو الأمر الذى سوف يتكشف لنا من خلال المبحث الثانى من هذا الفصل ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى تتسم تلك الثورات ـ من خلال زعاماتها ـ بالمركزية الشديدة واتخاذ الاوتوقراطية أو النزعة الفردية فى الحكم كأسلوب أو كمنهج لتسييس أمور الدولة ٠

ومن بين الملامح المميزة لثورات الصفوات العسكرية ، غياب الرؤية الاجتماعية ، أو البعد الاجتماعى للثورة ، وهو غياب قد يكون موقوتا ، وقد يكون غيابا أبديا ، وهنا تفقد الثورة أهم مقومات استمرارها وتعد مجرد انقلاب عسكرى يعجز عن احداث تغييرات ذات دلالة فى طبيعة البناء الاجتماعى والسياسى للمجتمع ، وتصبح غالبية المحاولات لتغيير المجتمع مجرد تغييرات مظهرية لا تمس الجوهر من قريب أو من بعيد ٠

اذن من الممكن أن ننظر الى الزعامة الناصرية من هذه الابعاد الثلاثة : البعد الفكرى أو الايديولوجى ، والبعد الخاص بصيغة الحكم ، ثم أخيرا الرؤية أو البعد الاجتماعى وهذا ما سوف تكشف عنه الصفحات التالية ٠

---

(١) يذهب كمال جنبلاط الى ان عبد الناصر قد صرح له فى احد المناسبات « ان اضخم واخطر عمل قمت به فى نظرى وبالنسبة لى ، وهو اخطر من انجازات الثورة ذاتها هو : انفى تمكنت ان احول تماما بين الجيش وبين ممارسته للسياسة » ولسنا ندرى الى اى صفوة ينتمى عبد الناصر وهو فى وضع المارس للسلطة والسياسة ، اليس ينتمى الى العسكريين ؟ اليس هناك تناقض بين القول والفعل ٠

انظر تقديم ترجمة كتاب جاك دومال ومارى لوروا ، جمال عبد الناصر من حصار الفالوجا حتى الاستقالة المستحيلة ، ص ٩ ٠

obeikandl.com

# المبحث الثاني

## انتكاسة الليبرالية بين الايديولوجية الغائبة

## وتطلعات الزعامة الكارزمية

obeikandl.com

obeikandl.com

( ١ )

تمثـــل الرؤية الفـــكرية للزعيم السياسى أو النسق العقـــائدى والايديولوجى له أحـــد المقومات الاساسية لصـــياغة الشخصية الزعامية الحقيقية وطابعه القيادى بصورته المتكاملة ، ولقد انعكس هذا التصور فيما أثرناه فى المباحث الســـابقة عن الزعامات السياسية المصرية التى سبقت عبد النـــاصر ٠

وتكشف لنا الرؤية التتبعية للتاريخ الثقـــافى لعبد الناصر أنه رغم قراءاته المتنوعة فى التاريخ والسياسة وخاصـــة تاريخ الساسة والمصلحين والزعماء أنه لم يستطع ان يكون منظومة فكرية ذات ملامح متكاملـــة الا اذا اعتبرنا كتاب فلسفة الثورة ممثلا للفكر الناصرى رغم تشكك البعض فى شرعية انتماء هذا الكتاب الى عبد الناصر كمؤلف ٠ ولكن من المؤكد أن ثورة يوليو قد قامت بلا نسق فكرى أو عقائدى متميز ، أو اطار نظرى مكتمل الأبعاد اللهم الا مبادىء الثورة الستة التى تداعت وتهاوت منـــذ اللحظة الأولى للممارسة الواقعية للسلطة والحكم حيث أضحى (بعضها ) مبادىء بلا مضمون وفرغت تماما ، من معانيها الحقيقية ، وأصبحت محض شعارات جوفاء ، لا سيمـــا فيما يتعلق باقامة دعائم المجتمع الديمقـــراطى ٠

ولعـــل الطبيعة العسكرية للتجـــربة الناصرية ومقومات الشخصية الكارزمية لعبد الناصر قد باعدت بينه وبين تأسيس رؤية فكرية محـــددة الملامح ، ولكن رغم المحاولات المتعثرة والمهترئة لتقديم ما يسمى بفكر الثورة وبناء الدولة الحديثة منذ فلسفة الثورة والميثاق الوطنى وبيان ثلاثين مارس، الا أنها لم تكن الا مجرد مجموعة أفكار قدمت وفقا لظروف كل مرحلة ، وغلب على معظمها الطابع الايديولوجى المـــاركسى ( الميثـــاق الوطنى )(١) ، حيث

---

(١) انظر كنموذج للتفسير الماركسى للميثـــاق الوطنى فى : لطفى الخولى ، الميثـــاق =

بدى الماركسيون فى الستينات فى صورة منطـــرى أو مفكرى السلطة ، وهى الفترة التى هادن فيها عبد الناصر الجماعات المـــاركسية فى مصر لاعتبارات سياسية عالمية واستقراء مضلل لأبعاد السياسة الدولية ومتغيراتها ٠

فالفكر الناصرى اذن قد خضع بصورة أو بأخرى لتقلبات السياســـة الداخلية والخارجية معا ، وهذا ما يكشف عن حقيقة هامة ، هى أن الثورة قد قامت بلا تنظير فكرى ، وانما قامت ويحددها الحماس الوطنى والنيـــة الصادقة ، معتمدة على مبادئها الستة ومجموعة الانطباعات التى ظهـرت فى كتاب فلسفة الثورة ، والتى عجزت من خلالها عن تقديم صيغة فكرية تفصح عن فلسفة متكاملة للثورة ، وهو الأمر الذى أكده رايموند بيكر **Baker** عند مناقشته لأسباب تعثر ثورة يوليو ١٩٥٢ والتى أشار فيها الى عـــدم قدرة الثورة على صياغة الاطار الفكرى والمؤسسى (الايديولوجيا والتنظيم) ، والذى يعـــد من أهم أسباب الفشل الذى منيت به الثورة أثنـــاء مسيرتها السياسية والاجتماعية(١) ٠

( ٢ )

ولقد انعكس هذا التخبط الفكرى على جميع مراحل المسيرة الثورية ، وهو التخبط الذى تبدت مظاهره من خلال أول اجراء سياسى قامت به الثورة بعد الغاء الملكية ، وأعنى به الغاء النظام الحزبى فى مصر والغاء دستور عام ١٩٢٣ ، وهو الاجراء الذى أعتبر عندئذ أول انتكاسة للديمقراطية الليبرالية، تلك الانتكاسة التى تجسدت بصورة جلية فى كل مظاهر الحكم الاوتوقراطى بدءا بتفضيل نظام الحزب الواحد وخلق صيغ وهمية غير واقعية لتحالف قوى الشعب العاملة ، والتى ظهرت من خلال التجارب التنظيمية الثلاث وأعنى بها هيئة التحرير والاتحاد القومى والاتحاد الاشتراكى ، وهى الفلسفة التى

---

الوطنى : قضايا ومناقشات ( المكتبة الثقافية ) ، المؤسسة المصرية العامة للتاليف والترجمة والطباعة والنشر ، أغسطس ١٩٦٢ ٠

(١) بيكر ، الثورة المصرية تحت حكم ناصر والسادات ، عرض وحيد عبد المجيد ، مجلة السياسة الدولية ، ابريل ١٩٨٠ ، ص ٢١٢ ٠

وجدت صدى وتشجيع من الجماعات غير اليمينية فى مصر(١) وانتهاء بمهزلة المجالس النيابية والمجالس الشعبية ومحاولة تكوين جبهة طليعة تدين بالولاء للنظام الناصرى ٠

ولعل تلك الانتكاسة الليبرالية التى تبدت فى المركزية الشديدةوالقضاء على المعارضة والتنكيل بها من خلال التنظيمات الأحادية قد كشفت عن مظاهرها الحقيقية من خلال التجارب الدستورية التى مرت بها مصر منذ عام ١٩٥٢،حيث شهدت مصر منذ قيام الثورة سبعة من الدساتير والاعلانات الدستورية فى أعوام ١٩٥٣ ، ١٩٥٦ ، ١٩٥٨ ، ١٩٦٢ ، بمعنى أن تعدد الانظمة الدستورية قد فاق تعدد الرئاسات ، ومن بين تلك الدساتير لم يصدر من خلال استفتاء شعبى عام سوى اثنين فقط هما دستورا ١٩٥٦ ، ١٩٧١ ، أما البقية فقد صدرت بقرارات من رئيس الجمهورية ومن حيث المضمون نجد أن النظام المصرى قد تبنى الاسلوب الرئاسى للحكم بصورته التقليدية الا أنه أضاف اليهثلاث مسائل أخرى أولها أن اختيار الرئيس يتمبالاستفتاء لا بالانتخاب ، وثانيها أن الرئيس يملك حل البرلمان ( فيما عدا دستور ١٩٧١ ) وثالثها أنه من حق الرئيس دستوريا رئاسة التنظيم الشعبى ٠٠ وعادة ما تجيىء نتيجة الاستفتاء على رئيس الجمهورية شبه اجماعية وذلك تأكيدا لوضعه ولأن الكشف عن وجود أقلية ذات وزن لا تعطيه تأييدها قد يبرر طلب اجراء انتخابات على منصب الرئاسة٠ وقد يبرر بالتالى مطالبة تلك الأقلية بحق الوجود السياسى(٢) ٠

( ٣ )

فلا شك أن تفضيل نظام الحزب الواحد بتجاربه الثلاث والمركزية الرئاسية والتأكيد على حقوق رئيس الجمهورية والذى كشفت عنه مجموعة

---

(١) انظر : لطفى الخولى ، الدولة والتنظيم السياسى فى التجربة المصرية ، الطليعة ، العدد (٧) ، يوليو ١٩٦٥ ، ص ص ١٠٩ ـ ١٣١ ٠

وانظر أيضا بعضا من مقالات على صبرى التى نشرت فى جريدة الجمهورية من ٢٣ ديسمبر ٦٦ الى ٣١ مارس ١٩٦٧ ، منشورات البنك الاهلى المصرى ( ادارة الشئون العامة ، القاهرة ١٩٦٧ ٠

(٢) انظر : طارق البشرى ، ثورة ٢٣ يوليو وقضية الديمقراطية فى : مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ، الديمقراطية فى مصر : ربع قرن بعد ثورة ٢٣ يوليو ( تاليف مجموعة من الباحثين ) ، يوليو ١٩٧٧ ، ص ٢١ ٠

التجارب الدستورية،وهى الحقوق التى مالت بنظام الدولة نحو الاوتوقراطية والحكم الفردى رغم النص أحيانا على بعض الحقوق للافراد(١) ، فبعد الناصر كان دائما يضيق بالمعارضة فلقد كان يعتبر «٠٠٠أن أى احتجاج أو اعتراض أو نقد أو حتى محاولة لتقصى الحقائق ومناقشتها أو مجرد التنفيس عما بالصدور يعد ثورة مضادة ٠٠ ولابد من اجراءات لمواجهتها »(٢) ٠

وتلك هى الأوتوقراطية فى قمة تطرفها وهى نتيجة طبيعية لفشل الزعامة الناصرية فى تحقيق أى مظهر من مظاهر التحديث السياسى على نحو ما يذهب كليمنت مور Moore الذى يرى أن الناصرية لم تستطع أن تحقق هذا التحديث والذى يعنى تغيير صيغة الحكم من الصيغةالاوتوقراطية الى النمط الديمقراطى وهو أمر كان ينبغى أن يتحقق كانعكاس طبيعى لأحداث يوليو ١٩٥٢ باعتبارها أحد مظاهر أو أشكال الحركات الاجتماعية التى يتوقع بعدها تغييرات بنائية فىالمظاهر السياسية للمجتمع وهو مايطلق عليه مور اسم التحديث السياسى ، وهو ما عجزت عن تحقيقه الزعامة الناصرية(٣) ٠

ويدلل مور على فشل الزعامة الناصرية فى خلق تنظيمات سياسية يمكن أن تفرز زعامات سياسية جديدة بتلك الدراسة التى قام باجرائها ر٠ هراير ديكمجيانDemkmejian على مائة وواحد وثلاثين وزيرا مصريا بين عامى ١٩٥٢ ـ ١٩٦٨ ، حيث لاحظ أن هناك وزيرين فقط كانا يشغلان عدة مناصب بالتنظيم السياسى ، بينما كان هناك على الأقل حوالى ثلاثة وثمانين وزيرا كانوا يشغلون مراكزهم فى التنظيم السياسى أثناء توليهم الوزارة أو بعد اقصائهم عنها(٤) ٠

---

(١) أنور السادات ، البحث عن الذات : قصة حياتى ، ص ١٧٩ ٠

(٢) Moore, Clement, Henry, Authoritarian Politics In Unincorporated Society : The Case of Nasser's Egypt, **ComparativePolitics,** April, 1974, P. 197.

(٣) Ibid, P. 197.

وقـــد يتسق الاتجاه الأوتوقراطى(١) فى الحكم مع طبيعـة الزعامة الكارزمية التى تدور عادة حول ذات الزعيم ، ولكن يبدو أيضا أن التصور الناصرى للديمقراطية قد يكون مسئولا عن تلك النزعة الأوتوقراطية ، حيث يذهب معرفا الديمقراطية بانها تعنى تاسيس العدالة الاجتماعية وتحقيق قدر من العدالة بـــين الطبقات ٠ والديمقراطية كما يرى عبد الناصر تعنى ألا يكون الحكم مجرد احتكار اقطاعى واستغلال رأسمالى ، بـــل ينبغى أن يكون الحكم موجهـــا لرفاهية كل الامة ٠٠ فالديمقراطية ــ كمـــا يذهب عبد الناصر ــ لا يمكن أن تخلق ببساطة من مجرد وجود دستور أو برلـــان ، ولكنها تخلق من خلال القضاء على الاقطاع واحتكار رأس المـال وسيطرته على الحـــكم(٢) ٠

( ٤ )

ويكاد يجمع مؤرخو الفكر السياسى بدول العالم الثالث ومنها مصر الناصرية على أن الزعامة الكارزمية تنهض على أساس رفض فكرة تعـدد الاحزاب والاتجاه الليبرالى فى الحكم ، ويعتمد هـــذا الرفض على التصور القاصر لزعامات هـــذه الدول لمفهـوم الديمقراطية ، فالتصور النـــاصرى للديمقراطية كما أشرنا لا يرى فى الدستور أو البرلـان أهمية بقـدر ما يرى فى القضاء على الاقطاع وتحقيق الرفاهية الاجتماعية هدفا أساسيا للديمقراطية كما يفهمها هو ، ولكن كيف تتحقق الرفاهية الاجتماعية فى غيبة الديمقراطية وبمنأى عن الدستور والبرلـان ؟ ٠

ويـــرى هورويتز أن زعامات العالم الثالث فى رفضها لفكرة تعـــدد الأحزاب ونبذها للفكر الليبرالى انما تعتمد على **مجموعة من التبريرات يمكن ايجازهـــا فيمـــا يـــلى :**

**أولا :** يعمل نظام تعدد الأحزاب على تفتيت الوحدة الوطنية ٠

**ثانيا :** ان التنظيمات السياسية الوطنية ( كهيئـة التحرير والاتحاد

---

(١) انظر قصة التجربة السياسية فى مصر بعد عام ١٩٥٢ فى : سيد مرعى ، التجربة السياسيـــة فى مصر من التنظيم الواحد الى تعدد الاحزاب فى مركز الدراســـات السـياسية والاستراتيجية ، الديمقراطية فى مصر : ربع قرن بعد ثورة ٢٣ يوليو ، ص ص ٢٨ ــ ٣٣ ٠

(٢) Lewis, Bernard, The Middle East and The West, Weidenfeld and Nicolson, London, 1964, PP. 63 - 64.

القومى والاتحاد الاشتراكى ) تعمـــل على تجميع آمال الشعب نحو تحقيق التحـــرر الوطنى ٠

**ثالثا :** بعـد نظام تعدد الأحزاب اهدار للقوى العاملة والزمن ٠ كما أن هذا النظام لا يعتبر ضمانا للمعايير الديمقراطية للسلوك السياسى ٠

**رابعا :** لا يتناسب نظام تعـدد الأحزاب مع الأمم التى فى سبيلها الى النمو ، حيث تعتبر صيغة التعاون المتبادل ـ وليس التنافس ـ هى الصيغة التى تلائم تلك المجتمعات فى الوقت الراهن ٠

**خامسا :** يقوم التنافس بـــين الأحزاب السياسية على اعتبـــارات ميتافيزيقية ولا ينهض على أسس سسيولوجية ، فهو نظام يضع فى اعتباره المصالح الخاصة وبعض المظاهر الانسانية ٠

**سادسا :** ان نظام تعدد الأحزاب قـد يكون نظاما ملائمـا للمجتمعات ذات الأنظمة الاقتصادية التى تقوم على الملكية الخاصة Private ownership اما يسمى بتفتيت الملـــكية ، وهى مجتمعات تتسم بسـيادة القطاعات الاجتماعية المتناحرة ٠ أما مجتمعات العالم الثالث فهى مجتمعات لا تتسم بسيادة ظاهرة التفتت الاقتصادى ، الأمر الذى لا يحتاج معه الى نظـام تعـدد الأحزاب(١) ٠

تلك هى الدعاوى التى يعتمد عليها رافضو نظام تعدد الأحزاب وهى دعاوى جوفاء ـ كما نرى ـ تهـــدف أولا وأخيرا الى أحكام قبضة الزعامات الكارزمية على الحكم ٠ ولا شك أن الزعامة الناصرية برفضها لنظام تعـــدد الأحزاب قد تصورت أنها ضمنت اخماد الاصوات المعارضة ، وهى الاصوات التى حاربها النظام الناصرى بلا هوادة منذ بداية الثورة ، وهو الأمر الذى ظهر فى المحاكمات العسكرية التى سميت بمحاكم الشعب والتى حوكم فيهـا ساسة ما قبل عام ١٩٥٢(٢) ، ثم الموقف من الجماعات اليسارية فى بعض

---

(١) Horowitz, The World of Development : The Theory and Practice of International Stratification, PP. 247 - 249.

(٢) انظر نصوص تلك المحاكمات فى : كمال كيرة ، محكمة الشعب ( سبع أجـزاء ) ، صدر عن مكتب شئون محكمة الثورة ، ١٩٥٤ ٠

الأوقات ، ثم موقفة من جماعة الاخوان المسلمين(١) وبعض الاقلام الصحفية المعارضة ، ثم ذلك الموقف المخذى من القضاء ، فيما يسمى بمذبحة القضاة ٠

ولقـــد أدت الاوتوقراطية الناصرية والتى رفضت الاتجاه الرأسمالى الليبرالى والمـــاركسية اللينينية(٢) ـ فى أول الأمر ـ الى الوقوع فى براثن الماركسيين المصريين الـــذين أوحوا الى عبد الناصر بالمـــاركسية اللينينية كأسلوب ومنهج فى الحكم ، واعتبروا هذا نموا فى فكر عبد الناصر ، ونظروا الى هذه الخطوة باعتبارها تحولا للثورة من كونها ثورة وطنية خالصـــة الى ثورة وطنية ذات مضمون اجتماعى(٣) ٠

( ٥ )

ولعل النتيجة الطبيعية لاختفاء المعارضة وكبت الحريات ، وهو المنهج الذى انتهجته الزعامة الناصرية ، فضلا عن الطبيعة العسكرية للنظام وسيادة القبضة البوليسية ، لعل نتيجة هذا كله مجموعة الاخطاء ـ بل الخطايا ـ التى وقع فيها النظام منذ حرب ١٩٥٦ مرورا بحرب اليمن حتى حرب يونيو ١٩٦٧ ، ثم ذلك الانتشار الاخطبوطى للماركسيين فى أجهزة الدولة ، ثم قبل هـذا وذاك اهـــدار كرامة الانسان المصرى(٤) وأبعاده عن ساحة العمـــل السياسى ، ومن ثم كان الفراغ السياسى أحد السمات التى ميزت الحقبة الناصرية ، والفراغ السياسى هو الساحة الطبيعية التى يعمل من خلالهـــا اصحاب الحكم المطلق ٠

---

(١) انظر على سبيل المثال : عبد المتعال الجبرى ، الناصرية فى قفص الاتهام ، دار الاعتصام ، القاهرة ١٩٧٩ ٠ وكذلك زينب الغزالى ، أيام من حياتى ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٧٩ ٠ ثم مصطفى أمين ، سنة أولى سجن ، الكتاب الاول ، العدد ٢٨٨ يناير ١٩٧٥ ٠

(٢) Mansfield Peter, Nasser's Egypt, P. 224.

(٣) انظر : فؤاد مرسى ، عبد الناصر والنظرية الثورية ، الطليعة ، العدد التاسع ، السنة السابعة ، سبتمبر ١٩٧١ ، ص ١١ ٠

(٤) يذهب أنور السادات فى كتابه البحث عن الذات مشيرا الى نموذج لكيفية اهدار كرامة الانسان المصرى « كانت لجنة تصفية الاقطاع تمثل قمة الارهاب والكبت والاذلال ٠ فقد اعتدوا على كرامة الانسان وهو ما لا يقبله شعبنا تحت أية ظروف ولأى سبب ٠٠٠ فالشعب المصرى يقبل الجوع والفقر والحرمان ٠٠٠ ولكنه لا يقبل امتهان الكرامة » ( أنور الســادات ، البحث عن الذات ، ص ص ١٧٩ ـ ١٨٠ ) ٠ ولعل قول السادات هذا يتناقض مع ما ذهب اليه كمال جنبلاط من وصفه لعبد الناصر بذلك الانسان الطامح الى الخير والفضل والحب والقـــوة المعنوية ٠ انظر كمال جنبلاط (تقـــديم) ، رجال دومال ومارى لوروا ، عبد الناصر من حصـــار الفالوجة حتى الاستقالة المستحيلة ، ص ١٥ ٠

ولاشك أن الموقف السلبى الذى وقفـــه الشعب المصرى ازاء قضـــايا مجتمعة يعـد نتيجة طبيعية لمـا كانت تمارسه السلطة الناصرية آنذاك من أساليب القهر المعنوى والبدنى ، فضلا عن ذلك الدور الذى لعبته أجهـــزة الأعلام آنذاك من تمجيـــد للزعامة الناصرية وحجب الحقائق عن الشعب ، حتى بدا الشعب وكأنه يعيش فى مجتمع غريب عنه ٠

والاعتماد على وسائل الاعـلام يعتبر أحـد الحيل التى تلجأ اليهـــا الزعامات الكازرمية الاوتوقراطية من حيث الترويج للقيم السياسية التى ينهض على أساسها النظام السياسى ، ومن حيث المبالغة فى تقديم صـورة الزعيم باعتباره منقذ الأمة من كل خطب يلم بها أو مشكلة تعن لها ، فأضحت الجماهير بمعزل عن السلطة والمجتمع اعتمادا على الهامية الزعيم وعبقريـــة القائد بالصورة التى قدمتها أجهزة الاعلام ٠

ومن هنـا شعر الانسان المصرى بالغربة ازاء تلك الطبقة الاخطبوطية التى بدأت تنفث سمومها فى المجتمع وتلتف حول الزعيم الكارزمى ، صانعها الوحيد ، وظلت تخرب فى المجتمع ما شاء لها التخريب(١) ، وهى ولا شـك أحد النتائج المتوقعة من جـــراء انتهاج أسلوب الحكم المطلق وهو الاسلوب الذى اتسق الى حد كبير مع طبيعة الزعامة الالهامية وسماتها الكازرمية ٠

( ٦ )

ومن هنـا تتبدى مظاهر فشل الحكم الكارزمى الناصرى ذى الـنزعة الاوتوقراطية فاغتراب الشعب المصرى عن السلطة كان يعـد أحد مظاهر هذا الفشل ، لأنه من المتوقع فى ظل الحكومات الديمقراطية ـ كنتيجة لطبيعـــة هذه الحكومات وسماتها أو مقوماتها الأساسية ـ أن تقترب المسافة بـــين السلطة ( باعتبارها ممثلة للاغلبية ) والشعب ، وهذا ما عجزت عن تحقيقه الزعامة الناصرية التى آثرت الحكم المطلق والذى لم يكن سوى تجسيد لفكر السلطة ان جاز لنا أن نتصور أنه كان للسلطة آنذاك فكر محـدد ٠

---

(١) أنظر مظاهر هذا التخريب فى : جلال الدين الحمامصى ، حوار وراء الأسـوار ، المكتب المصرى الحديث ، القاهرة ١٩٧٦ ، الطبعة الرابعة ٠ وكذلك انظر : عبد المتعال الجبرى ، الناصرية فى قفص الاتهام وخاصة الفصول الثالث والرابع والخامس والسادس ٠

ولم يقتصر الموقف السلبى ازاء قضـايا المجتمع المصرى على رجـل الشارع العادى بل تجاوزه الى مثقفى هذا المجتمع(١) ، حيث آثر غالبيتهم الانسحاب من الساحة السياسية ، وان ظـل البعض ـ وهم كثرة ـ مهادنة السلطة والتزلف لها ، وهو موقف غير مشرف على أية حال اذا ما قارنا موقف المثقفين المصريين فى قيادة الحركة الوطنية فيما قبـل عام ١٩٥٢(٢) بذلك الموقف الاستسلامى الساطوى الذى اتخذته هذه الفئة بعد عام ١٩٥٢ ، وان كنا لا ننكر أن هناك ( حالات ) فردية كان فيها لبعض المثقفين المصريين دور ـ وهو محدود بطبيعته ـ فى مواجهة السلطة الحاكمة ، ولكنها حالات لا تمثل ظاهرة ، اذ سرعان ما كانت السلطة تنكل بهذه الأقلام أو الأصوات المعارضة فى حينهـا .

ولاشك أن أحـلام الزعامة وأوهامها والنظر الى السياسة باعتبارها عملية اجتهادية رغم أن السياسة علم وفن وهو الأمر الذى لم تدركه الزعامة الناصرية أو لم تستطع ان تحققه(٣) وهو ما ضاعف من حجم أزمات المجتمع المصرى ، وتعد كارثة يونيو ١٩٦٧ قمة المأساة التى عاشها الانسان المصرى ، والتى طوحت بأحـلام الزعامة الناصرية ونالت كثيرا من حجم تطلعاتها ، عبث أوهامهـا .

---

(١) انظر تحديدا لمفهوم المثقف ودوره فى المجتمع فى : محمد عباس سيد أحمد ، ثورة يوليو والمثقفون ، الطليعة ، العدد (٧) ، يوليو ١٩٦٥ ، ص ص ١٥٤ ـ ١٦٤ .

(٢) انظر : عاطف أحمد فواد ، الحرية والفكر السياسى المصرى : دراسات تحليلية فى علم الاجتماع السياسى ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨٠ ( الفصل الاول وموضوعه الفكر والقوى السياسية ) .

(٣) من أمثلة أحلام الزعامة الناصرية وأوهامها تلك المساعدات غير المحسوبة للحركات العسكرية الانقلابية لبعض بلدان أفريقيا وآسيا . كذلك المغامرة الخاصة بحرب اليمن ثم أخيرا حرب يونيو ١٩٦٧ التى كشفت عن زيف الزعامة وأخطاء الحكم آنذاك . انظر فى قصة حرب يونيو : صلاح العقاد ، مأساة يونيو ١٩٦٧ ، حقائق وتحليـل ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٦٥ .

وانظر تحليلا لنفس الكارثة فى : Churchill, Randolf, S., Churchill, Winston, The Six Day War, Heinemann, London, 1967

وكذلك أنور السادات ، البحث عن الذات ، ص ص ١٥٥ ـ ٢١٧ .

( ٧ )

وقد يقاس نجاح الزعامات السياسية أو فشلها ، لا سيما تلك الزعامات التى نمت فى مواكبة الثورة أو حركة سياسية أو اجتماعية بمدى ما تحققه هذه الزعامات من مظاهر للتحديث السياسى أو التغيرات البنائية السياسية. وقد يقال ان الزعامة الناصرية قد نالت قدرا من النجاح بالنسبة لبعض الانجازات الاجتماعية والاقتصادية وهى الانجازات التى بدأت بقوانين الإصلاح الزراعى ( رغم الأخطاء التى شابت تنفيذ هذه القوانين )(١) ، الا أنه من المؤكد أن قدرة الزعامة الناصرية على احداث ما يمكن تسميته بالتحديث السياسى ، كانت قدرة محدودة ، بل تكاد تكون معدومة ، بل ان الذى يمكن أن يقال بالنسبة للتغيرات السياسية أن الزعامة الناصرية قد أكدت على حكم الفرد وأجهضت النزعة الليبرالية التى سادت مصر بموجب دستور ١٩٢٣ وقضت على حرية الرأى وهو ما تكشف من خلال الممارسة الواقعية وليس من خلال النصوص الدستورية ، أو من واقع مجموعة الخطب الخاصة بعبد الناصر والتى كان يشيد من خلالها دائما بأهمية الحرية والديمقراطية للشعب، وأنه لا حرية لأعداء الشعب ، رغم أن أعداء الشعب هؤلاء لم يكونوا فى الواقع الا أعداء السلطة ومعارضى الناصرية .

ويتكشف هذا الفشل فى احداث التغيير السياسى فى ذلك الفشل الذى منيت به التنظيمات السياسية الأحادية فى تنشيط عملية المشاركة السياسية وخلق حركة من الرواج السياسى أو فى عملية تنمية الوعى السياسى Political Consiousness للانسان المصرى ، ويكفى أن نشير الى تنظيم كالاتحاد الاشتراكى الذى عجز عن القيام بدوره كوعاء لتنظيم المشاركة السياسية وسيطرة فئة معينة على مقدراته وتوجيهه وجهة سلطوية خالصة ، وهو الأمر الذى وقف ازاءه الانسان المصرى موقف المتفرج . واذا ما أخذنا أحد

---

(١) انظر : عبد الحميد صفوت ، الانجازات الاجتماعية للثورة : حساب الأرباح والخسائر : فى مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ، الثورة والتغير الاجتماعى ( اشراف السيد يسن ) ، العدد (١٥) ، القاهرة ١٩٧٧ ، ص ص ٨٤ ـ ١٩٤ .

المؤشرات الهامة للكشف عن فشل هذا التنظيم وأعنى به اشتراكات العضوية حيث نلاحظ أنه فى مايو ١٩٦٨ « ٠٠٠ دفع ٤٠ فى المائة فقط من الأعضاء اشتراكاتهم والغالبية العظمى من هؤلاء كانوا من العمال والفلاحين الذين كانت اشتراكاتهم تدفع عن طريق الخصم الروتينى ٠ لذلك فلم يكن غريبا ان العاملين فى الزراعة ، وفى الوحدات الانتاجية الصغيرة والذين لم يخضعوا لنظام الدفع الروتينى لم يتعدوا نسبة ٢ الى ٣ فى المائة ، وبدلا من أن يقوم من أن يقوم الاتحاد الاشتراكى بوظائفه السياسية ، أخذ شيئا فشيا فى الاضطلاع بالوظائف الادارية الحكومية وتشطت القيادات التنفيذية والادارية لتولى المناصب القيادية فيه ، بحيث طبع العمل فى الاتحاد الاشتراكى بطابع ادارى ومكتبى ٠ وظهر تركز شديد على رفع تقارير منفصلة الى المستويات الأعلى لتتماشى مع تقاليد البيروقراطية ، ولا تعكس صورة موضوعية للرأى العام »(١) ٠

فهذا الفشل فى انماء وعى سياسى مصرى متميز ، وعدم القدرة على صياغة رأى عام حر قادر على الحوار والعطاء والنقد والمعارضة يعد فى تصورى أحد مظاهر عدم تحقيق التحديث السياسى ، لا سيما وأن سنوات ما قبل ١٩٥٢ قد شاهدت وعيا سياسيا جماهيريا قد تبدى فى المواقف الجماهيرية من الاستعمار والقصر ، والدور المشرف الذى لعبته الجماهير فى مساندة الحركة الوطنية ، بل وأيضا وفى مساندة حركة يوليو ١٩٥٢ ، فجاءت زعامة ما بعد هذه الحقبة وأحدثت ما يشبه النكسة فى ديناميات الوعى السياسى المصرى ، ولقد تركز همها ـ فقط ـ فى صياغة رأى عام يدين لها بالولاء ، وهو رأى عام سلبى الحركة ، متلقى غير متفاعل ، فهو وان تفاعل ، فهو تفاعل الواهم المستسلم ، غير المدرك لحقائق الأشياء ٠

( ٨ )

اذن لقد ظلت الزعامة الناصرية الكارزمية تعمل منذ الخمسينات من هذا القرن من خلال ثلاث محاور هى : أولا : التأكيد على النزعة الاوتوقراطية

---

(١) أسامة الغزالى حرب ، المشاركة السياسية فى : مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية ، الثورة والتغير الاجتماعى : ربع قرن بعد ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ( اشراف السيد يسن ) ، ص ٥٣ ٠

ومحاربة المعارضة بلا هوادة مستخدمة فى ذلك كل أساليب الحكم العسكرى والبوليسى من حيث الاضطهاد والتعذيب ، الأمر الذى خلق حالة من اللا أمن بين المواطنين وتوجس بعضهم من البعض الآخر • ثانيا : خلق انتصارات وهمية عربية وعالمية ، فضلا عن بعض الانجازات الاقتصادية والاجتماعية الداخلية ، وذلك تاكيدا لموهبة الزعامة وقدراتها اللا محدودة كما تود الزعامة أن توهم الرأى العام أو توحى اليه • ثالثا : خلق طبقة من المرتزقة والمتزلفين للترويج للفكر الكارزمى الناصرى وهى الطبقة التى احتكرت غالبية المناصب الوزارية وقمة الوظائف الادارية بالدولة •

ومن خلال هذه المحاور الثلاثة تتالت كل الانهيارات الداخلية ، وعلى راسها تحطيم معنويات الانسان المصرى واحساسه بالغربة فى مجتمع هو صاحبه • ثم جاءت السبعينات فكانت بداية الصحوة وارهاصات الأمل ، وبشائر مجتمع جديد يملك الانسان المصرى فيه ارادته •

ولكن قبل أن نعرض ـ باختصار ـ لحقبة السبعينات ، يجدر أن نشير **الى مجموعة من الملاحظات خاصة بظاهرة الزعامة الناصرية :**

**أولا :** منذ أن قامت ثورة يوليو عام ١٩٥٢ من خلال هذه الصفوة العسكرية الوطنية ما كان ينبغى عليها أن تفكر فى السلطة أو فى الحكم ، بل كان عليها ـ بعد استقرار الاوضاع ـ أن تسلم مقاليد الحكم الى ادارة مدنية من ذوى الخبرة السياسية •

**ثانيا :** لم تكن السمات الالهامية والخصائص الكارزمية لعبد الناصر كافية لقيادة أمة بعراقة مصر وأصالتها وعمق مشكلاتها ، ومن هنا تتسق الملاحظة الأولى مع الملاحظة الثانية هذه •

**ثالثا :** كان لغياب الايديولوجية الثورية والافتقار الى الاطار الفكرى الذى كان ينبغى أن تتحرك من خلاله الثورة عبر مراحلها المختلفة ، التأثير البالغ فى كل الترديات والأخطاء ـ بل والخطايا ـ التى وقعت فيها الزعامة الناصرية •

**رابعا :** قد لا تنطبق تماما مقومات الزعامة السياسية بصورتها المتكاملة على الظاهرة الناصرية لافتقارها الى البعد الفكرى أو الايديولوجى ، فهى زعامة استقامت على أساس بعض السمات الخاصة للزعيم ، وهى سمات

ما كان لها أن تظهر لولا ظروف الثـــورة ، ولولا التشجيع الجنونى للشعب المصرى فى مساندة هذه الزعامة ، ذلك الشعب الذى كان أول ضحية للزعامة الناصرية التى خلقها بنفسه ، فخنقته بيديها ٠

**خامسا :** كشفت التجربة الناصرية عن فشل زعامتها وعدم قدرتها على تحقيق أى مظهر من مظاهر التحديث السياسى ، بل على العكس لقد انتكست لليبرالية وأجهضت الحريات ٠

**سادسا :** اعتمدت الزعامة الناصرية على تضليل الرأى العام وتوجيهه الوجهة التى قد توحى له بعبقرية الناصرية وبقدرتها على تحقيق المعجزات ، كما اعتمدت على تعميق الفجوة بينها وبين الشعب بخلق الطبقة المتزلفة لها والمروجة لقيمها ، فضلا عن اعتمادها على الاسلوب العسكرى والبوليسى الارهابى الذى خلق بين الشعب حالة من اللا أمن والتوجس والخوف ٠

**سابعا :** رغم حالة اللا أمن والتوجس والخوف الذى عاشها الشـعب المصرى فى ظل الزعامة الناصرية ، الا أنه كان دائما ينظـــر اليها باعتبارها ( رمزا ) ، وانها قادرة على أن تأتى بمعجزات وكيف لا وقد صورت أجهـزة الاعلام له هذه الأوهام ، والدليل على ذلك موقفان ، الأول هزيمة يونيو (وهنا كان ينبغى على عبد الناصر أن يستقيل فعلا باعتباره مسئولا عن الهزيمة ) والثانى عند وفاته عندما شعر الشعب وكأنه فقد الأمل فى الحياة ، وهـــذا موقف من الشعب المصرى يكشف عن مدى النجاح الذى أصابه عبد الناصر وأجهزة أعلامه فى تقديم صورته باعتباره محقق المعجزات ، ويكشف عن نوعية خاصة من الشعوب ، وهى الشعوب وجدانية النزعة رغم مواقفـــه الصلبة والعنيدة من ظلم السلطة ومن جبروت الحكام ٠ ولكن يبـــدو أن الالهامية الناصرية قد استطاعت أن تصيغ مؤقتا من هذا الشعب بناءا وجدانيا مواليا ٠

**ثامنا :** ان استقراءنا لتاريخ عبد الناصر لا يستقيم اطلاقا مع ما انتهجه من أساليب للحكم ، فقـــد قرأ فى التاريخ وفى السياسة ، وقرأ عن الزعمـاء والمصلحين والرواد وعانى من ظلم السلطات الاوتوقراطية وأدرك أسـباب التخلف الاجتماعى والفروق الطبقية الصارخة ،الا أن هذا لم يكن له انعكاسات ايجابية على منهج حكمه اللهم الا فى بعض الاجراءات الاجتماعية والاقتصادية التى شابتها ـ مع ذلك ـ كثير من الأخطاء ٠

**تاسعا :** من المؤكد اذن أن لسلبيات الزعامة الناصرية ـ وهى كثيرة ـ

أبعادها الذاتية والبنائية المجتمعية والتاريخية والعالمية ، وان كنا ننظر الى البعد الذاتى والبنائى باعتبارهمـا مسئولين مسئولية مباشرة عمـا تردت فيه الزعامة الناصرية من أخطاء ٠

**عاشرا :** تعد الزعامة الناصرية نموذجا لحكم الصفوة العسكرية ، لاسيما زعامات العالم الثالث ، والعالم حديث الاستقلال ، وهى زعامات بطبيعتها قلقة ، يغلب عليها الحماس دونما حنكة ٠ أو خبرة سياسية ، وهو الأمـر الذى يكشف لنا عن السر فى كم الانقلابات العسكرية التى عادة ما تحـدث داخل تلك المجتمعات وهى قد تتم أحيانا داخل الصفوة العسكرية ذاتها ٠

obeikandl.com

# المبحث الثالث

## الزعامة المصرية الراهنة

## ومحاولات احياء الليبرالية

## بين تحديات الواقع وبشائر الأمل

obeikandl.com

obeikandl.com

( ١ )

قد يكون من العسير أن يكون لنا رؤية تقويمية متكاملة للزعامة السياسية المصرية الراهنة ، نظراً لحداثة عهد هذه الزعامة من جهة ولأن التجربة مازالت فى عنفوانها ولم تنته بعد ، ولكن مع ذلك فان المبحث الراهن هو مجرد مجموعة من الانطباعات العامة عن هذه الزعامة والتى تعتبر احد نماذج الصفوه العسكرية المستنيرة والتى جمعت بين عدد من المزايا هى ، الحس الوطنى الناضج والخبرة السياسية المتميزة ، فضلا عن التمثل الجيد لسيكولوجية الانسان المصرى ولديناميات تاريخه الطويل ، هذا الى جانب ما تتسم به الزعامة الراهنة من تميز فكرى وثقافى ، وهو تميز فرضته محاولات التثقيف الذاتى التى قامت بها زعامة السبعينات ٠

وقد يرى البعض أنه من العسير أن نجرد الزعامة الراهنة من مسئوليتها ـ أو على الأقل ـ اشتراكها فى المسئولية عما تردت فيه الثورة من أخطاء ، وهو أمر صحيح واعترفت به ـ فى اكثر من مناسبة ـ الزعامة الراهنة ٠ ولكن التقويم الحقيقى والحساب الموضوعى ـ فيما نتصور ـ يبدأ منذ التولى المباشر لمسئولية الزعامة فى مصر ٠

والواقع اننا لسنا فى معرض المقارنة بين زعامة مضت واخرى أتت ، ولكن ما نود أن نؤكده هو أن الزعامة الراهنة ، أو الحكم الراهن قد تسلم مقاليد السلطة ، والمجتمع فى حالة من التمزق والفوضى والانهيار يفوق حالة المجتمع فى عشية ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، فكان ارثاً ثقيلا من الهموم والاخطاء والخطايا ، وقف انهيار الانسان المصرى وتمزق وانحطاط معنوياته وعدم ثقته أو تخومه من السلطة على قمة تلك المثالب والاخطاء والهموم ٠ ثم الاحتلال الاسرائيلى بكل ما يحمله من معانى الذل والانكسار والهوان ٠

ثم تتابع الأخطاء والمشكلات والهموم بين انهيار اقتصادى وتفاوت اجتماعية رهيبة وتعقيدات ادارية واختلاسات ورشاوى ، فضلا عن تشعب

الطبقة الاخطبوطية فى كل اجهزة الدولة والتى اشاعت فيها كل قيم التزلف والمداهنة واثارت فى الشعب كل معانى الخوف والرهبة ٠

فوسط هـذا الخضم المتلاطم من الاخطاء والهموم كان لانبثاق زعامة سياسية تتسم بالجرأة والشجاعة والحكمة والتروى وبعـد النظر ، ضرورة بل حتمية فرضتها وضعية المجتمع بابعاده النفسية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية ، ومن هـذا نستطيع أن نؤكد أن موهبة الزعامة الراهنة قـد كشفت عنها الظروف الموضوعية للمجتمع ،وهى زعامة قد لا تنطبق عليهـا تماماً مقومات الزعامة الكارزمية ، ولكنها تقدم نموذجا للصفوه التى تجاوزت وضعيتها العسكرية حيث أضحت أميل الى الصفوة السياسية المثقفه التى اصقلتها الخبرات التى اكتسبتها من خلال العمل السياسى الداخلى والتعامل المباشر مـع بعض المتغيرات الدولية ، الأمـر الذى كشف عن مقومات جديده لصفوة سياسيـة جمعت بين الحنكة السياسيـة وتوفر الرؤية الفكرية أو الايديولوجية ، وان كانت الآخيرة لم تتبلور الا مؤخرا ٠

( ٢ )

وقد يرى البعض ان الزعامة الراهنة قد استمدت مقوماتها من وضعها السلطوى ومن خلال ظروف المجتمع ، لذلك تعتبر أقرب الى النظام الحاكمى Rurlership منه الى نظام الزعامة على نحو ما يذهب هيرمنز Hermense فى تحليله للتمايزات القائمة بين النظامين الحاكمى والزعامى ٠

واذا كنا نسلم بأن الزعامة الراهنة قد كشفت عنها الظروف الموضوعية للمجتمع والتى خلفتها الزعامة السابقة الا أنه من المؤكد أن الزعامة الحالية قد جمعت بين بعض مقومات الزعامة فى التصدى لمشكلات المجتمع وايجاد الحلول الجريئة والواقعية فى الآن نفسه وبين النزعه الحاكمية بحكم وضعها الرسمى٠

ورغم تسليمنا بأنه ليس حتمياً الجمع بين الزعامة السياسية والسلطة الرسمية ، الا أنه من المؤكد أن الزعامة الراهنة لم تبدأ بصفتها الزعامية ، انما بدات بوضعهـا السلطوى الرسمى ثم تخلقت ابعادها الزعامية من خلال الظروف المحلية والعالمية ، والمواقف الجريئة والحاسمة فى التصدى لمشكلات المجتمع رغم الملاحظات التى ابـداها البعض على تلك المواقف والاجراءات ٠

وتتبدى مظاهر الزعامة أولا فى قيام السلطة الراهنة بتصفية فـلول

'نطبقة التى خلفتها السلطة السابقة فكانت اجراءات ١٥ مايو ١٩٧١ ، التى كانت بحق بداية حلقة جديدة من حلقات تاريخ المجتمع المصرى ، ثم حرب أكتوبر ١٩٧٣ ، وهى الحرب التى أعادت الى حد كبير للانسان المصرى ثقته فى نفسه ، بعد فترة التمزق التى خلفتها مأساة يونيو ١٩٦٧ ، ثم محاولة التحرر من قيود المعسكر الشيوعى بطرد مجموعة الخبراء الروس وتصفية الحراسات والمعتقلات ، فضلا عن محاولة الانفتاح السياسى والاقتصادى على العالم الغربى ، ثم أخيرا محاولة أحياء الليبرالية التى بدأت فى تصورى بوضع دستور عام ١٩٧١ تجاوزا لمرحلة الشرعية الثورية الى الشرعية الدستورية(١) ٠

( ٣ )

ومحاولات احياء الليبرالية تستوجب وقفة وتأمل ، فالنزعة الليبرالية فى الحكم الراهن لم تتضح الا بعد مرحلة من التأرجح بين النزعتين الاوتوقراطية والليبرالية وافساح الطريق أمام الرأى الآخر ، فكانت صيغة المنابر فى نطاق الاتحاد الاشتراكى ، ثم صيغة تعدد الاحزاب ، وهى الصيغة التى ما زال المجتمع السياسى المصرى يعمل من خلالها ، رغم بعض الهنات التى ما زالت تشوب تلك التجربة ، خاصة وأن الرأى الآخر كقوة مؤثرة فى المجتمع المصرى لم تتكشف بعد أبعاده ، وأن بعض الاجراءات والقوانين التى قد توحى بتناقض بين دعاوى الحرية ، وبين محتوى تلك القوانين والاجراءات ولنا أن نتذكر ذلك القانون الذى قدمه أحد وزراء الثقافة السابقين لتنظيم الصحافة(٢) الذى كان يعد ـ فى حينه ـ ردة كادت أن تعصف بكل الاجراءات الليبرالية السابق الاشارة اليها ٠

ولاشك أن مثل هذا القانون ـ الذى سحب فى توه ـ وأمثاله قد يجعل

---

(١) أنظر عرضاً مقارناً بين دستورى ١٩٧١ ، و١٩٢٣ فى : عاطف أحمد فؤاد ، الحرية والفكر السياسى المصرى : دراسات تحليلية فى علم الاجتماع السياسى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٠ ٠

(٢) انظر نقداً لهذا القانون فى : ابراهيم عبده ، محنة الصحافة وولى النعم ، سجل العرب ، القاهرة ، ١٩٧٨ ٠

من التجربة الليبرالية غير مكتملة النمو ، خاصة وان حركة النقد الحر(١) ضحت من معالم النظام السياسى الراهن ، وهو ما يجعل من مثل هذه القوانين ـ التى قد يرى فيها البعض حجرا على الحرية وعلى شرعية المعارضة وجدبتها ـ موضعا للشك فى مدى صدق نية السلطة الحاكمة فى ارساء قواعد المجتمع الليبرالى الديمقراطى ٠

ورغم تلك الهنات،فان ما أحدثته السلطة الزعامية الراهنة من تغييرات بنائية سياسية يكشف عن قدرة على احداث ما أسميناه بالتحديث السياسى Political Modernization ، ولا شك أن هذا التحديث سوف يصل الى قمته فى الوقت الذى تكتمل فيه ملامح المعارضة الحزبية والصحفية الحادة ، وفى الوقت الذى يكون فيه الدستور ـ دون غيره ـ هو المرجع الأول والأخير لسياسة الدولة داخليا وخارجيا ٠

ولاشك أن ملامح التحديث السياسى سوف تكتمل بصورة أكثر وضوحا فى الوقت الذى تتحرر فيه الصحافة تحررا كاملا باعتبارها مرآة للرأى العام ، كذلك سوف تضيف اطلاق حرية تكوين الاحزاب السياسية الى مظاهر التحديث السياسى التى أحدثتها الزعامة الراهنة بعدا جديدا يكشف عن تخلق مجتمع جديد بحق ٠

( ٤ )

وتعد محاولة تنمية الوعى السياسى للانسان المصرى أحد مظاهر التحديث السياسى التى تحاول الزعامة الراهنة أن تحققه ولا سيما وأن هذا الوعى قد وصل الى أقصى درجات انحطاطه فى فترة ما قبل السبعينات كانعكاس طبيعى لأسلوب الحكم الاوتوقراطى التسلطى ٠ ومن المؤكد أن هذا الوعى لن يكتمل أو ينمو الا من خلال الحرية واتاحة الفرصة الكاملة للأحزاب جميعها وبصورة متساوية للممارسة السياسية والحزبية الحرة ، وفتح آفاق الاعلام لكل الاتجاهات لكى تعبر عن آرائها بحرية ، وأن تتاح

---

(١) انظر مجموعة المؤلفات التى تناولت ـ بحرية ـ مثالب التجربة الناصرية والتجربة الراهنة ٠ وانظر على سبيل المثال : ابراهيم عبده ، أقول للسلطان ،سجل العرب ، القاهرة ١٩٧٦ ٠ وانظر لنفس المؤلف ، رسائل من نفاقستان ، سجل العرب ، القاهرة ، ١٩٧٣ ٠

المواطن المصرى الفرصـــة الكاملة للاختيار الحر لممثليه وقياداته دونمـــا توجيـــه أو تقييـــد ٠

أما تكوين الكوادر السياسية وتربية النشء تربية سياسية تنهض على أسس الحوار الحـــر والجدل الواعى يعـــد ـ فيما أتصور ـ أحد مظاهر انماء الوعى السياسى ، وبالتالى يعـــد أحـــد مظاهر التحديث السياسى ، وهو امر لن يتحقق الا من خلال خلق مجتمع سياسى تعمل فيه الأحـــزاب السياسية جميعها بحرية وفقا لمجموعة القواعد التى يقررها دستور الدولة ، والذى ينبغى أن يكون تجسيدا لحرية الانسان المصرى ٠

فالزعامة الراهنة اذن ـ رغم ملاحظاتنا وملاحظات البعض الآخـــر ـ زعامة انجاز ، ما زالت تسعى لتعويض سنوات التخلف والمعاناة والحـــكم المطلق ، فكانها ـ والصورة هكذا ـ زعامة انقـــاذ ، وزعامة خلاص ، رغم أن أخطاء الماضى وكثيرا من مثالب الحاضر ما زالت تعوق المسيرة نحو التقـــدم بالسرعة التى تحتمها ظروف المجتمع ، وهذا هو التحدى الاكبر التى تواجهه الزعـــامة الراهنـــة ٠

( ٥ )

فزعامة السبعينات فى مصر تعـــد أحد الظواهر التى تستوجب تأمل الباحث فى علم الاجتماع السياسى لتفـــردها وللظروف المحيطة بانبثاقهـــا وتخلقها ، **ويمكن اجمال ملاحظاتنا عنها فيما يـــلى :**

**أولا :** من العســـير أن تنطبق على زعامة السبعينات شروط الـــزعامة الكازرمية التقليدية ، فهى زعامة انبثقت أولا من وضعها السلطوى الرسمى ، ثم من خلال الظروف الموضوعية للمجتمع المصرى التى أتاحت لهـــا الظهور والتالق ، فهى زعامة كامنة Latent Leadership ان صح التعبـــير ٠ وهى زعامة استمدت قوتها ليس من وضعها العسكرى وانما من خبرتها السياسية ووضعها الرسمى ٠

**ثانيا :** تعد هذه الزعامة أحد الصفوات السياسية ذات الرافد العسكرى المستنير الذى جمع بين الخبرة والرؤية الفكرية والثقافية ، وهو أمر ينـــدر تحقيقه بين الصفوات العسكرية التقليدية ٠

**ثالثا :** تكشفت ملامح هذه الزعامة بصورة أكثر وضوحا من خـــلال

مجموعة المواقف المصيرية والشجاعة التى وقفتها هذه الزعامة منها على سبيل المثال حركة ١٥ مايو ١٩٧١ وحرب أكتوبر ١٩٧٣ وأخيرا محاولات تحقيق السلام مع اسرائيل · ولعل هذا يؤكد ما ذهب اليه السير رايت ميلز Mills من صعوبة فهم الصفوات أو الزعامات بمعزل عن الظروف الموضوعية للمجتمع وعن طبيعة السياق الاجتماعى والسياسى الذى يميزه ·

**رابعا :** رغم أن الزعامة الراهنة قد جمعت بين الزعامة السياسية والسلطة الرسمية ـ وهو أمر نادر الحدوث ـ الا أنها حققت عددا من الانجازات السياسية الهامة ، يقف على قمتها محاولات احياء لليبراليةكمظهر من مظاهر التحديث السياسى ، وهذا يؤكد ما ذهب اليه كليمنت مور Moore من أنه ينبغى بعد كل تحول اجتماعى ( وحركة مايو ١٩٧١ تعد تحولا اجتماعيا ) أن يصحبه تغير أو تحديث سياسى ، لا سيما التغير من الصيغة الاوتوقراطية الى الصيغة الديمقراطية ·

**خامسا :** تحاول الزعامة السياسية الراهنة ـ رغم بعض الهنات ـ أن تؤكد أن السياسة علم وفن ولا تنهض وفقا لاجتهادات الحاكم والهامات الزعيم ، وانها عملية محسوبة بدقة ، تتفاعل فيها العوامل الداخلية بالمتغيرات الدولية ·

**سادسا :** قد تكتسب الزعامة السياسية الراهنة صفتى القوة والاستمرار من خلال استكمال ملامح البناء الديمقراطى احياء لليبرالية مع محاولة تجاوز مرحلة الحرية النسبية الى مرحلة الحرية المتكاملة ، مع محاولة ـ أيضا ـ استكمال مقومات البناء الاقتصادى والخروج من الأزمات الاقتصادية الراهنة ·

obeikandl.com